

يوم السوق

أَخَذَتِ الطَّرِيقَاتُ الْمُحِيطَةَ بِالْمَدِينَةِ تَتَدَفَّقُ بِالْقَادِمِينَ إِلَيْهَا، ذَلِكَ لِأَنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ سُوقٍ. فَكَانَ الْقَرَوِيُّونَ يَسِيرُونَ بِخُطَوَاتٍ هَادِيَةٍ وَ أَجْسَادُهُمْ الْقَوِيَّةُ تَتَدَفَّقُ بِالنُّظَامِ إِلَى الْأَمَامِ، مَعَ سِيْقَانِهِمْ الطَّوِيلَةَ الْمَفْتُولَةَ الصُّلْبَةَ مِنَ الْعَمَلِ الشَّاقِ. إِنَّهُمْ يَسِيرُونَ قُدَمَا آخِذِينَ الطَّرِيقَ طَوِيلًا وَ عَرَضًا، يَدْفَعُونَ أَمَامَهُمْ أَحْمِرَةَ تَحْمِلُ غَرَارَاتٍ وَ سِلَالًا وَ رُزْمًا، بَيْنَ مُنْتَفِخَةٍ وَ مُنْبَعِجَةٍ وَ مَهْرُولَةٍ.....

وَكَانَ الرَّحَامُ عَلَى أَشَدِّهِ فِي السُّوقِ الْقَائِمِ فِي السَّاحَةِ: وَهُوَ خَلِيظٌ صَاحِبٌ مِنَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانِ، مُتَدَفِّقٌ كَالْمَوْجِ، تَطْفُو عَلَى سَطْحِهِ قُرُونُ الثَّيْرَانِ (1)، وَالْمِضْلَاتُ الْعَرِيضَةُ، وَ الْعَمَائِمُ الْمُكَوَّرَةُ، وَمَنَادِيلُ النِّسَاءِ ذَاتُ الْأَلْوَانِ الزَّاهِيَةِ: فَالْجَلْبَةُ مُسْتَمِرَّةٌ دَائِبَةٌ، وَالنَّقَاشُ حَادٌ نَائِرٌ وَالْجَمَاعَاتُ مُنْصَرِفَةٌ إِلَى الْبَيْعِ وَ الشَّرَاءِ وَ عَقْدِ الصَّفَقَاتِ وَ نَقْضِهَا .

وَ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ السُّوقِ يُقَلِّبُ الْفَلَاحُونَ الْأَبْقَارَ وَ يُقَدِّرُونَ قِيَمَتَهَا ثُمَّ يَذْهَبُونَ، ثُمَّ يَعُودُونَ وَ قَدْ اسْتَبَدَّتْ بِهِمُ الْحَيْرَةُ وَ عَدَّبَهُمُ الْإِحْجَامُ وَ الْإِقْدَامُ: أَيَشْتَرُونَ أَمْ لَا يَشْتَرُونَ؟ وَ فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى عُرِضَتْ أَعْدَالُ الْغُولِ وَ كَوْمُ الْبَطَاطَا وَ دُسُوتُ اللَّبَنِ (3) وَ صِنَادِيقُ الْجُبْنِ وَ ظُرُوفُ السَّمَنِ وَ أَهْرَامُ الْبَيْضِ.... وَأَصْحَابُ الْمَعْرُوضَاتِ فِي أَعْمَالِهِمْ يَسْتَقْبِلُونَ وَ يُودِّعُونَ مِنْهُمْ الْكَثِيرُ الشُّغْلُ يَكَادُ لَا يَفْتُرُ لِسَانَهُ مِنْ مُجَامَلَةِ زبَائِنِهِ وَ الْإِشَادَةِ بِبَضَائِعِهِ وَ مِنْهُمْ الْمُسْتَرِيحُ الْبَالِ وَ اللَّسَانُ يَتَسَلَّى بِتَنْظِيمِ بَضَاعَتِهِ فِي انْتِظَارِ الزُّبُونِ.

أَمَّا النِّسَاءُ فَقَدْ وَضَعْنَ عِنْدَ أَقْدَامِهِنَّ سِلَالَهُنَّ الْكَبِيرَةَ أَخْرَجْنَ مِنْهَا طُيُورَهُنَّ وَ طَرَحْنَهَا عَلَى الْأَرْضِ مُوثِقَةً السِّيْقَانَ رَائِعَةً الْأَعْيُنِ قِرْمِزِيَّةِ الْأَعْرَافِ . وَإِنَّهُنَّ لِيُصْغِينَ لِمَنْ يُسَاوِمُهُنَّ عَابَسَاتٍ مَلُولَاتٍ. فَإِذَا نَالَ مِنْهُنَّ الصُّبْرُ وَ أَرْهَقَهُنَّ الْإِنْتِظَارُ يَقْبَلْنَ فَجَاءَهُ الثَّمَنُ الرَّهِيْدَ الْمَعْرُوضِ فَيَصِحْنَ بِالْمُشْتَرِي الَّذِي يَبْتَعِدُ مُتَلَكِّئًا : "تَعَالَ مَبَارَكٌ عَلَيْكَ" .

"مترجم"

الشرح

- 1-تطفو على سطحه قرون الثيران: طفا الزيت فوق الماء: علاه وارتفع على سطحه، وضده رسب. شبه الكاتب كثرة الخلائق في السوق بأموج متدافعة، فالناظر إليها يبصر قرون الثيران و المضلات و المناديل و العمائم تعلق هذا الحشد و تطفو فوقه.
- 2-عقد الصفقات و نقضها: عقد صفقة أي التصافح عند البيع علامة على الاتفاق بين البائع و المشتري. و ضده نقض الصفقة أي ابطال البيع.
- 3-دسوت اللبن: الاواني يوضع فيها مفردها دست و هو اناء كالسطل.